بسم الله الرحمن الرحيم

الأحد 24/11/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

أبواب الفرج

الصدقات المنثورة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

هذا هو الدرس السادس في سلسلة دروس عنوانها **أبواب الفرج**، ونحن نسأل اللهَ تعالى ببركة هذه الدروس وبعملنا بها أن يُعجِّل لنا بالفرج وأن يجعله محفوفاً بألطافه الخفية، فقد بتنا موقنين أن لا فارج ولا معين ولا مؤيد ولا ناصر ولا فعَّال في الكون إلا الله، فما أعطاه الله لا يمنعه أحد، وما منعه الله لا يعطه أحد، سبحانه لا يُخفض من رَفع، ولا يُرفع من خَفَضْ.

نحن اليوم في باب جديد من أبواب الفرج وهو **باب الصدقات المنثورة**.

جعل الإسلام الصدقة جزءً من حياة الإنسان المؤمن، فلم تسقط عنه كبيراً كان أو صغيراً، غنياً أو فقيراً، موسراً أو مقتراً عليه بالرزق... وترى صدقته ممزوجة ببرنامجه اليومي أو الأسبوعي أو الشهري وبحياته بشكل عام.

دعا الإسلام إلى الصدقة في ثلاث دعوات:

1- دعوة للحض على الصدقة.

وهي أسهل هذه الدعوات قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: 1-3] فجعل الله من لا يَحُضُّ ولا يدعو أهلَه وأرحامَه وأصدقاءَه والناسَ من حوله إلى أن يبذلوا صدقة للمساكين من الذين يكذبون بالدين.

وكان من أسباب دخول أهل النار إليها عدم إطعام المسكين ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: 42-44].

2- دعوة لبذل الصدقة.

وتأتي في المرتبة الثانية في الصعوبة.

3- دعوة لإيصال الصدقة.

أصعب الدعوات الثلاث إيصالك الصدقة إلى مستحقيها.

عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**العَامِلُ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالحَقِّ كَالغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ**» [أبو داود والترمذي].

فمن السهل أن ترفع من جيبك ألفاً أو عشرة آلاف أو حتى مئة ألف فتأمرَ شخصاً بإيصالها لمستحقها، لكن إيصال هذا المال لمستحقِّيه بحاجة للبحث، والتحقق من الحاجة، وللذهاب إلى بيوتهم أحياناً، وقد يقترن إيصال المال أو الطعام أو المساعدة في الأزمة لبذل روحِ الإنسان.

نحن مدعوون كلنا إلى الحض والبذل والإيصال، ولئن جاع مسلم أو احتاج في ديار المسلمين فإن الله سيؤاخذ كلَّ سكان الدار والحي.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ**» [الطبراني والبخاري في الأدب].

أنت مسؤول في الأوقات عامة وفي الأزمات خاصة أن تتفقد جارك فإن كنت قادراً على أن تطعمه أطعمته، فإن لم تكن قادراً أبلغت غيرك من المؤمنين حتى يبذلوا شيئاً.

❖ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 262].

قال العلماء: **الخوف**: التألم لمكروه متوقع في المستقبل، كمن قال: أخاف أن لا أنجح هذه السنة.

الحزن: التألم على مكروه في الماضي، كمن قال: أنا متأسف؛ لأنني أضعت سنة من عمري.

فإذا اشتدت الأزمة وضاقت فالله يقول: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فلا تتوقع مكروهاً قادماً في المستقبل، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما مضى.

❖ **للصدقة سر عجيب.**

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**» **قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ:** «**فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**» **قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ:** «**فَيُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ**» **قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ:** «**فَيَأْمُرُ بِالخَيْرِ**» **أَوْ قَالَ:** «**بِالْمَعْرُوفِ**» **قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ:** «**فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ**» [البخاري ومسلم].

«**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**» أي يجب عليه.

كان رجل يسير بسيارته ومعه ابنته فأشارت إليه عائلةٌ مع أولادها؛ لِيُرْكِبَهم، فسار بهم إلى أقرب نقطة يستطيعها، فلما نزلوا سألته ابنته متعجبة: لماذا أركبتهم؟! فقال: هذا من بذل المعروف للناس ويتوجب علينا فعل ذلك.

بعد أسابيع حدثت اشتباكات في مكانِ سكنِه فما استطاع أن يذهب إلى عائلته، وما استطاعوا أن يخرجوا، وقُطعت الاتصالات بينهما، ومضى يومين على هذا الحال وقلبه يشتعل ناراً من خوفه عليهم، وفي اليوم الثالث اتصلت به الزوجةُ لتطمئنه على نفسها وأنها خرجت بسلامة مع بناتها.

قدم الرجل إلى عائلته وبعد أن اطمأن عليهم سأل زوجته عما حدث معهم فقالت: لم نستطع الخروج من المنزل ليومين وفي اليوم الثالث أخذْنا أَمْرَنا وقررنا الرحيل، وإذ بشاب يقابلنا عند باب البناء، يسألنا عن وِجْهتنا فأخبرناه فأصر على إيصالنا، ثم أوقف لنا سيارة أجرة وطلب منه أن يوصلنا ثم أخذ رقم السيارة، وأعطاني رقمه لأُطَمْئِنَهُ عند وصولي.

قال الزوج: هل تعرفين الشاب؟ قالت: لا.. فالتفت الأب مخاطباً ابنته وقال: هل علمت لماذا أوصلت العائلة؟!

- قد تكون صلة الوصل بين رجل يريد العمل، وآخر يطلب عاملاً هو أنت فيعمل الرجل لسنوات ويسر صاحب العمل منه وكل ذلك بصحيفتك.
- قد تنصح أحداً نصيحة يكون لك أجر العمل بها لسنوات طويلة وكلها في صحيفتك.
- مقابل المسجد يوجد شجر زيتون قام بزراعتها والاعتناء بها رجل من سنوات طويلة حتى كَبُرَتْ، فله الآن أجر من أكل منها وهو في قبره.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ» [البخاري ومسلم].

❖ قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]

عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ التُّجِيبِيّ، قَالَ: **كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَعَلَى الجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ، فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ. فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ:**

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتُؤَوِّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةَ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا، فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195]، فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلَاحِهَا، وَتَرْكَنَا الغَزْوَ)

فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ، شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ [الترمذي].

فكان من لا يتصدق في الأزمة ممن يلقي بنفسه إلى التهلكة.

❖ **عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** [آل عمران: 92] **قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** [آل عمران: 92] **وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَخٍ، ذَلِكَ**

مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ [البخاري ومسلم].

❖ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاَثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاَثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ» [البخاري ومسلم].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ [مسلم].

فإذا كنا في هذه الأزمة نبذل ما نستطيعه من قليل أو كثير؛ لنساعد بعضنا البعض أعطانا الله الرتب العالية، وكشف عنا ما نحن فيه من هم أو ضيق، وكم من حدث عظيم، ومريض أعيا الأطباء، وسجين حَيَّرَ المحامين، وأمر عسير... لم يكشف إلا بالصدقة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.